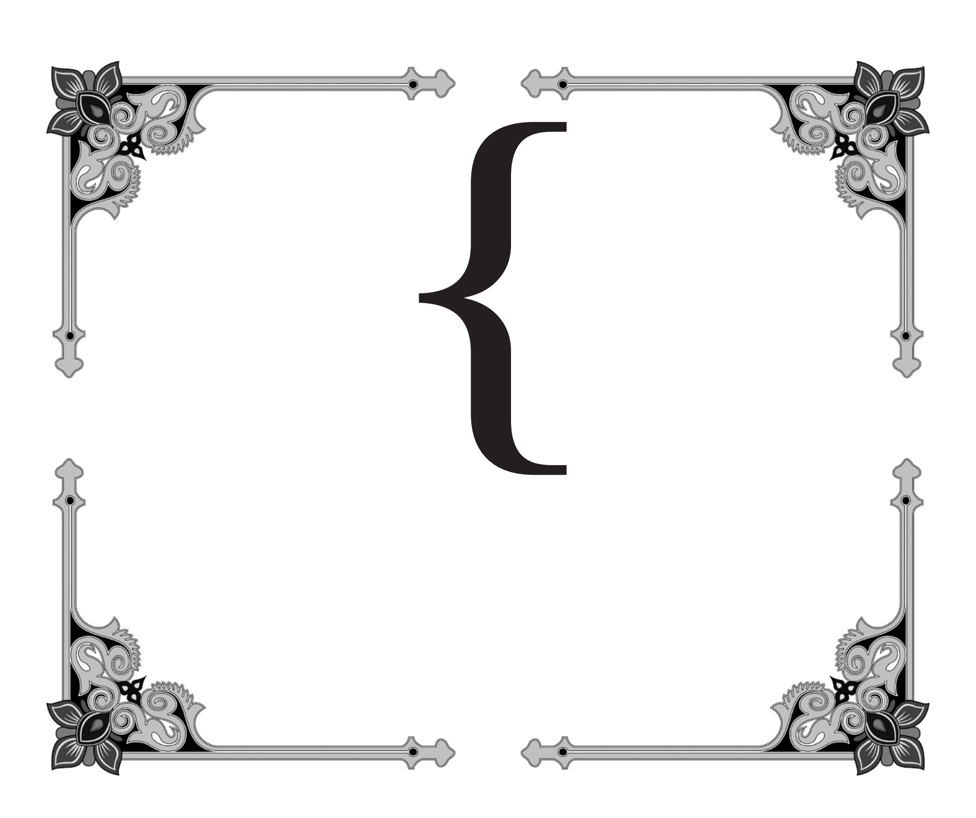


بطاقة فهرسة الكتاب

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق: وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٦: ٢٨٤.

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KAPLI rda

رقم تصنيف LC : BP102.654.S52 2016

المؤلف الشخصي: الشوشتري، نور الله بن شريف الدين، ٩٥٦ – ١٠١٩ هجرياً.

العنوان: السحاب المطير في تفسير آية التطهير.

بيان المسؤولية: تأليف القاضي نور الله التستري؛ تحقيق نزار الحسن.

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة التحقيق؛ ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٦م.

الوصف المادي: ٤٦ صفحة.

سلسلة النشر: (قسم الشؤون الفكرية – شعبة التحقيق؛ ١٨٤).

تبصرة ببليوغرافية: يحتوي على هوامش لأئمة مصادر ص٤٣-٤٤.

موضوع شخصي: علي بن ابي طالب (ع)، الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة -٤٠ هجرياً - اثبات الخلافة.

موضوع العنوان: القرآن – سورة الاحزاب – آية ٣٣، آية التطهير – تفاسير الشيعة الامامية.

مصطلح موضوعي: اهل بيت النبي - عصمة.

مصطلح موضوعي: الائمة الاثنا عشر – أثبات الامامة – أحاديث.

مؤلف اضافي: الحسن، نزار نعمة، محقق.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

التنضيد: علاء احمد نعمة الحفار. الإخراج الفني: أحمد عبد الوهاب زيارة الخزاعي.



تأليف

السيد الشهيد المحقق القاضي نور الله التستري

صاحب كتاب إحقاق الحق

المستشهد سنة ١٠١٩

تحقيق

الشيخ نزار الحسن

اصدار

شعبة التحقيق

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

العتبة الحسينية المقدسة

(١٨٤)

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م



العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www. imamhussain-lib. com
E-mail: info@imamhussain-lib. com

W

مقدمة التحقيق

الحمـدُ لله ربِّ العالمـين والصلاة والسـلام على محمدٍ وآلـه الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم من الأولين والآخرين.

آيـةُ التطهير الشريفة من الآيات التي عنـت بذكر وعصمة أهل البيت عليهم السلام وأثبتت حقوقهم الطبيعية كالعصمة والإمامة ولوازمهما.

وتُعتبر الآية الطاهرة من الآيات التي اعتنى بها الأعلام شرحاً وتفسيراً وتوضيحـاً منذُ العصور الغابرة، وفي الوقت نفسـه كانت مثاراً للجدل بين مـن خالفنـا في عقيدته - البعض منهم - فمنهم مَن أدخل فيها نسـاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ، واسـتدلوا عليه بأدلـة غير ناهضة، بل واهية، ورُدّ هـذا الرأي بردود عدّة مـن قبل أعلام الطائفة الحقّة - الإمامية - ومن بـين هـذه الردود الرسـالة التي بين يديك الكريمتين المسماة بـ (السـحاب المطير في تفسـير آيـة التطهـير) التي خطتها يـراعُ فحلٍ من فحـول الكلام والفقه والمناظرة - الشهيد المحقق - الذي روى طريق الحق بدمه الزاكي -

القاضي نور الله التستري (أعلى الله درجاته) المتوفى (١٠١٩هـ).

فكانت رسـالةً شـافيةً ناجعةً رغم حجمها الصغير ولكنها ذات معنى سامي وعال.

وهـذا هو شـأن مصنّفهـا في رسـائله الأُخر، كـما في رسـالته القرآنية الأخرى المعروفة بـ (كشف العوار في تفسير آية الغار).

وممّن ذكر رسالتنا المحقق الخبير العلامة آقا بزرك الطهاراني في الذريعة: ج١٢، ص ١٥٠، رقـم ١٠٠٥، فـلا بـأس قبل الدخـول في البحث نذكر مقدمة نتطرق من خلالها لحياة الشـهيد الثالث (القاضي نورالله) وثم كيفية علمنا بهذه الرسالة.

ترجمة المؤلف[1]

هو السيد المسدد ضياء الدين نور الله السيد شريف الدين بن السيد ضياء الدين، المرعشي التُستري،ينتهي نسبه الشريف مع ٢١ واسطة إلى السيد الجليل أبي الحسن علي المرعشي المتصل نسبه الشريف إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. ولد في بلدة تُستر من خوزستان في جنوب إيران، سنة [2]٩٥٦، وبها نشأ وتربى، وأمّه السيدة الجليلة فاطمة المرعشية بنت عمّه[3]، وأمّا والده فهو من أعلام الشيعة الإماميّة وقد ينقل عن بعض مؤلّفاته ولده الشهيد في بعض تصنيفاته[4]، وكان شاعراً.

(١) مصادر ترجمته: أمل الآمل للحر العاملي، تكملة أمل الآمل، أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، طبقات أعلام الشيعة والذريعة لآغا برزك، خاتمة مستدرك الوسائل للمحدِّث النوري، روضات الجنّات للخوانساري، وشهداء الفضيلة للعلامة الأميني.

(٢) طبقات أعلام الشيعة: ج٥، ص٦٢٢، شهداء الفضيلة: ص١٧١.

(٣) مقدمة إحقاق الحق: ص٨٢.

(٤) طبقات أعلام الشيعة: ج٤، القرن العاشر، ص١٠٣.

كان القاضي الشهيد قدس سره متكلماً حاذقاً، حاضر الجواب، ذات قريحة جيّدة، ومن بديع ما يدلُّ على علوّ فطرته وجودة قريحته في أوائل تحصيله؛ ما نقل عنه ولده علاء الملك في محفل الفردوس بهذه العبارة:

إنّه لمّا قدم السيد الفاضل الأمير عزّ الدين فضل الله اليزدي رحمه الله لزيارة المشهد المقدس الرضوي هاجر القاضي قدس سره من تستر إلى مشهد الرضا عليه السلام وأقام به سنين مكبّاً على الإفادة والاستفادة، فلمّا برعّ وفاق في جلّ العلوم عزم على الرحيل إلى بلاد الهند سنة ٩٩٣هـ؛ لإشاعة المذهب الجعفري، حيث رأى أنّ بتلك الدّيار لا تُرفع لآل محمد صلى الله عليه وآله راية، فورد بلدة لاهور شوّال من تلك السنة، فلمّا وقف السلطان جلال الدين أكر شاه التيموري - وكان من أعاظم ملوك الهند جاهاً ومالاً ومنالاً - على جلالة السيد ونبالته وفضائله؛ قرّبه إلى حضرته وأدناه، فصار من الملازمين له وممّن يشار إليه بالبنان، ثم لما توفّي قاضي القضاة في الدولة الأكبرية عيّنه السلطان للقضاء والإفتاء، فامتنع القاضي من القبول، فألحّ الملك عليه، فقبل على أن يقضي في المرافعات على طبق اجتهاده وما يؤدّي إليه نظره بشرط أن يكون موافقاً لإحدى المذاهب الأربعة، وبقي مقرّباً مبجّلاً لدى الملك المذكور، وكان يُدرّس الفقه على المذاهب الخمسة، متقياً في مذهبه وكان يرجّح من أقوالهم المطابق لمذهب الشيعة الإمامية، فطار صيت فضائله في تلك الديار إلى أن توجّهت إليه أفئدة المحصلين من كلّ فجٍّ عميق للاستفاضة من علومه والاستنارة[1].

(١) مقدمة إحقاق الحق: ص١٥٨.

وقال في التذكرة الشيخ علي الملقّب بحزين المعاصر للعلامة المجلسي بعد أنْ نقل اشتراط القاضي القضاء طبق أحد المذاهب وقبول أكبر شاه ذلك: وكان يقضي على مذهب الإماميّة، فإذا اعترض عليه في مورد يلزمهم أنّه على مذهب أحد الأربعة، وكان يقضي كذلك ويشتغل في الخفية بتصانيفه إلى أن هلك السلطان وقام بعده ابنه جهانكير شاه، والسيد على شغله، إلى أنْ تفطّن بعض علماء المخالفين المقرّبين عند السلطان أنّه على مذهب الإمامية، فسعى إلى السلطان واستشهد على إماميته بعدم التزامه بأحد المذاهب الأربعة وفتواه في كل مسألة بمذهب مَنْ كان فتواه مطابقاً للإماميّة، فأعرض السلطان عنه، وقال: لا يثبت تشيُعه بهذا، فإنّه اشترط ذلك في أوّل قضاوته[1].

مشايخه:

أخذ السيد الشهيد العلم في أوان شبابه من علماء بلدته تُستر، وأوّلهم والده السيد شريف الدين، فقرأ عليه الكتب الأربعة، وكتب الأصول والفقه والكلام، وقرأ فيها على المولى عبد الرحيم التستري[2]، ثم انتقل في سنة ٩٧٩هـ إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام وكان عمره يوم ذاك ثلاث

(١) خاتمة مستدرك الوسائل: ج٢، ص٢٧١، في الفائدة الثالثة ضمن ترجمة الشهيد الثاني قدس سره نقلاً عن التذكرة.

(٢) أعيان الشيعة: ج١٠، ص ٢٢٩. وشهداء الفضيلة: ص١٧٢، والذريعة: ج١٤، ص٥٢، رقم ١٧٠٦.

وعشرين سنة، وحضر درس المولى عبد الواحد التُستري وكان من مشاهير أهل الفضل في عصره، كما أخذ عن غيره من العلماء في هذه المدينة المقدّسة.

ما قيل في حقّه:

قال الميزرا عبدالله الأفندي رحمه الله: «السيد الجليل الأواه ضياء الدين القاضي نور الله بن السيد الشريف الدين الحسني المرعشي التستري الشهير بالأمير، الساكن بالبلاد الهندية، صاحب كتاب مجالس المؤمنين بالفارسية وغيره - إلى أنّ يقول: فاضل عالم، ديّن، صالح، علاّمة، فقيه، محدّث، بصير بالسير والتواريخ، جامع للفضائل، ناقد في كل العلوم، شاعر...»(١).

وقال العلامة المجلسي قدس سره: «السيد الرشيد الشهيد التستري - حشره الله مع الشهداء الأولين - بذل الجهد في نصرة الدين المبين، ودفع شبه المخالفين، وكتبه معروفة»(٢).

وقال الحرُّ العاملي قدس سره: «القاضي نور الله الشوشتري فاضل، عالم محقق علاّمة، محدث، له كتب...»(٣).

مؤلّفاته:

مؤلّفات ومصنّفات السيد القاضي التُستري قد تجاوزت (١٥٠) مؤلّفاً ومصنّفاً كما أحصاها السيد المرعشي النجفي قدس سره في مقدمة كتابه

(١) رياض العلماء: ج٥، ص٢٦٥.

(٢) مقدمة بحار الأنوار: ج١، ص٤١.

(٣) أمل الآمل: ج٢، ص ٣٣٦، رقم ١٠٣٧.

النفيس (إحقاق الحق وإزهاق الباطل)[1] وهذا يُعتبر من أبرز مصنّفات السيد القاضي قدس سره فمَنْ أحبّ الوقوف على أسماء مصنّفاته، فليراجع مقدّمة إحقاق الحق ص٨٩ - ٩٠، وأعيان الشيعة؛ للسيد الأمين، وشهداء الفضيلة، للعلامة الأميني، والذريعة للعلامة الطهراني، وغيرها من المصادر.

شهادته:

بعد أنْ حسده الحاسدون من علماء القوم من القضاة والمفتين وشوا عليه عند السلطان جهانكير شاه التيموري، فدسّوا رجلاً من طلبة العلم فلازم القاضي وصار خصيّصاً بحيث اطمأنّ قدس سره بتشيّعه، واستكتب ذلك الشقي نسخة من كتاب إحقاق الحق فأتى به إلى جهانكير، فاجتمع لديه علماء أهل السنّة وأشعلوا نار غضب الملك في حقّ السيد حتّى أمر بتجريده من اللباس وضربه بالسياط الشائكة إلى أنْ انتثر لحم بدنه الشريف، وقضى نحبه شهيداً وحيداً فريداً غريباً بين الأعداء.

وفي بعض المجاميع المخطوطة أنّه بعدما ضربوه بتلك السياط وضعوا النار الموقدة في إناء من الصفر والحديد على رأسه الشريف حتّى غلى مخه

(١) هذا كتاب واسع وكبير، نقد فيه القاضي الشهيد الفضل بن روز بهان في ردّه على العلامة الحلي في كتاب نهج الحق وكشف الصدق، ردّه فيه رداً منطقياً ببيان واف، وقد طبع مراراً، واستدركه السيد المرعشي في مجلدات.

ولحق بأجداده الطاهرين، وكانت تلك الفجيعة سنة ١٠١٩هـ[١].

وفي الختام مَنْ أراد الوقوف على ترجمة القاضي الشهيد قدس سره فيراجع مقدمة رسالته المسماة بـ «كشف العوار في تفسير آية الغار» بقلم محمد جواد المحمودي - فله الشكر - والمطبوعة في الجزء الثاني من تراث الشيعة القرآني.

فرحم الله شهيدنا يوم ولد ويوم قُتل ويوم يُبعثُ حيّاً...

عملنا في الرسالة:

الرسالة التي بين يديك - عزيز القارئ - صغيرة بحجمها ولكنها كبيرة بمادتها، وأهمية موضوعها، ولذا وقع اختيارنا عليها من يوم عثورنا على هذه الرسالة الشريفة في مركز إحياء التراث الإسلامي في قم المقدسة. وكانت مصورة من مكتبة السيد المرعشي النجفي علماً أنها منسوخة في سنة ١٠٩٢هـ أيّ بعد استشهاد مصنفها قدس سره بأكثر من سبعين عاماً.

وكان عملُنا بها كالتالي.

١. تحقيق النص.

٢. استخراج المصادر والأقوال.

٣. وضع علامات الترقيم في محلّها.

٤. ثبت اختلافات النسخة الخطية مع بعض مصنّفات المؤلّف إنّ

(١) مقدمة إحقاق الحق: ص١٥٨ - ١٥٩.

وجدت.

٥. إضافة بعض العناوين وجعلناها بين معقوفتين.

٦. قام بتنضيد الكتاب وإدخال الهوامش الأخ علاء أحمد نعمة الحفار.

٧. قام بإخراج الكتاب الأخ أحمد عبدالوهاب محمد زيارة.

هـذا ما أحببنا إيراده في هذه المقدمة، ونسـأله تعـالى التوفيق والقبول، والعفـو والعذر عـن التقصير والقصـور، ونبتهل إلى الله المتعـال أنّ يوفقنا للمزيد بحق من عنتهم آية التطهير.

نزار بن نعمة الحسن

١/ ربيع الثاني/ ١٤٣٧هـ

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على محمدٍ وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم من الأولين والآخرين.

آيةُ التطهير الشريفة من الآيات التي عنت بذكر وعصمة أهل البيت (عليهم السلام) وأثبتت حقوقهم الطبيعية كالعصمة والإمامة ولوازمهما.

وتُعتبر الآية الطاهرة من الآيات التي اعتنى بها الأعلام شرحاً وتفسيراً وتوضيحاً منذُ العصور الغابرة، وفي الوقت نفسه كانت مثاراً للجدل بين مَن خالفنا في عقيدته – البعض منهم – فمنهم مَن أدخل فيها نساء النبي الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، واستدلوا عليه بأدلة غير ناهضة، بل واهية، وردّ هذا الرأي بردودٍ عدّة من قِبل أعلام الطائفة الحقّة – الإمامية - ومن بينِ هذه الردود الرسالة التي بين يديك

الله الناطق وهذا كلام الله الصامت»[(١)(٢)]

انتهى كلامه، وبه انتهى توضيح
ما أوردناه، والحمد لله
ربّ العالمين

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج٢، ص٣٢٢، والبحار: ج٣٠، ص٥٤٦.

(٢) المعنى: «ان الطريق بدون مرشد محتمل الوجود. وما قيل: ان كتاب الله وسّنة الرسول علاج فما حاجتنا إلى المرشد! فهذا يشبه كلام المريض الذي يقول: بما أن كتب الطب موجودة فما حاجتنا للطبيب، وهذا الكلام خطأ؛ لان كتب الطب ليست متيسّرة لكل شخص لكي يستطيع الاستنباط منها، فلابد من مراجعة أهل الاستنباط، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾ (النساء: ٨٣) فالكتاب الحقيقي في صدور أهل العلم ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ...﴾ (العنكبوت:٤٩) وليس في بطون الدفاتر، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا كلام الله الناطق وهذا كلام الله الصامت».

W

الحمدُ لله الذي جعل القلب بمطالعة آياته بصيراً، والصلاة على سيدنا محمـد وآله الذين أذهب الله عنهم الرجـس وطهرهم تطهيراً، وعلى خلّص أصحابه الذين حفظوا وصية الله ورسوله في أهل البيت ولم يغيّروا تغييراً.

وبعد.. لقد قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾(١).

قـال سـيّد المحدّثين جمـال الملـة والديّن عطـاء الله الحسـيني الأصل الشـيرازي قـدس سره(٢) في كتابه الموسـوم (**تحفـة الأحبـاء**)(٣): إن لعلماء التفسير رحمهم الله في بيان المراد من أهل البيت ثلاثة أقوال:

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) هو السيد الفاضل عطاء الله بن الأمير فضل الله الشيرازي الدشتكي المحدث وهو ابن السيد الحكيم الأمير غياث الدين منصور المشهور صاحب المدرسة المنصورية بشيراز من أجداد السيد علي خان الشيرازي. راجع ترجمته في هدية الاحباب للقمي: ص١٦٨، وأمل الآمل: ص١٧٠، رقم ٥٠٥ حيث قال عنه «عالم فاضل..».

(٣) يُنقل له كتاب تحت عنوان: (روضة الأحباب في سيرة النبي والآل والأصحاب).

أحدهما: إن المراد ممن حرّم الله عليهم الصدقة، والزكاة من أقارب النبي صلى الله عليه وآله كآل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وأن المراد من التطهير، التطهير من أوساخ الناس التي هي الصدقة والزكاة[١].

وثانيها: إن المراد من أهل البيت الأزواج المقدسة؛ لأنّ سياق الآية في بيان ذلك[٢].

---

(١) الطبري محمد بن جرير، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين ص٦٩٢، وتفسير الخازن: ج٥، ص٢٥٩.

(٢) هذا القول مروي عن عكرمة بن عبدالله، وعن مقاتل بن سليمان البلخي، فأما الأول - أعني عكرمة - كان يرى رأي نجدة الحروري وهو من أشد الخوارج بغضاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام ويرى أيضاً كفر جميع المسلمين من غير الخوارج، وهو القائل في موسم الحج: وددت أن بيدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً، وهو القائل أيضاً عندما وقف على باب المسجد الحرام: ما فيه إلّا كافر.

ومن مفاهيمه الاعتقادية المنحرفة: إنما أنزل الله متشابه القرآن ليضل به وقد اشتهر بكذبه ووضعه للحديث، ولذا وصفه يحيى بن سعيد الأنصاري بأنه كذاب (أنظر ترجمة عكرمة في ميزان الإعتدال للذهبي ج٣ ص٩٥، والمعارف لابن قتيبة ص٤٥٥). أفيصح بعد هذا أن نأخذ بحديث يرويه؟!

وترجم لعكرمة وأظهره على حقيقته وصورته الواقعية سيدنا الأستاذ الميلاني في نفحات الأزهار: ج٢٠، ص٨٩.

وأما الراوي الثاني بعد عكرمة، فهو مُقاتل بن سليمان البلخي الأزدي الخراساني، كان مفسراً للقرآن الكريم على طريقته الخاصة، حتى قال فيه ابن المبارك: ما أحسن←

➡تفسيره لو كان ثقة. (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج٤، ص١٧٣).

وكان من غلاة المجسمة يشبه الخالق بالمخلوقين، حتى قال أبو حنيفة: أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال: إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل في الإثبات حتى جعله مثل خلقه. المصدر السابق).

وقال النسائي: والكذابون المعروفون بوضع الحديث: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان: (ميزان الاعتدال: ج٣، ص٥٦٢ في ترجمة محمد بن سعيد المصلوب).

وكان مقاتل على مذهب المرجئة. (الفصل لابن حزم: ج٤، ص٢٠٥) ويأخذ عن اليهود،والنصاري ويغرر بالمسلمين، حتى قال فيه الذهبي: كان مقاتل دجالاً جسوراً. (ميزان الاعتدال: ج٣، ص٥٦٢).

عود على بدء: كيف يفسر عكرمة أو مقاتل بأن الآية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله خاصة مع أن المراد من الرجس هو مطلق الذنب؟! وهذا يلزم إذهاب الرجس عنهن وبالتالي لا يصح أن يقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ..﴾ سورة الأحزاب: ٣٢، ولما صح قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ سورة الأحزاب: ٣٠. وكيف يفسران إيذاءهن له صلى الله عليه وآله مع إذهاب الرجس عنهن؟ حيث ذكر البخاري: إن النبي صلى الله عليه وآله هجر عائشة، وحفصة شهراً كاملاً، وذلك بسبب إفشاء حفصة الحديث الذين أسره لها عن عائشة، فقالت للنبي صلى الله عليه وآله: إنك أقسمت أنْ لا تدخل علينا شهراً. (صحيح البُخاري: ج٣، ص٣٤).

وفي رواية أنس: قال صلى الله عليه وآله: «آليت منهن شهر». (نفس المصدر ➡

وثالثها: إن المراد من أهل البيت محمد رسول الله، وعلي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والسبطين عليهم الصلاة والسلام وظاهر الآية على صحة هذا القول؛ لأنّ تذكير ﴿عَنكُمُ﴾ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ يقتضي أن يكون المخاطب الرجال دون النساء.

وعلى تقدير إرادة الأزواج كان حق العبارة أن تكون (ويطهركن) بتأنيث الضمير، والقول: بأن الآية الكريمة قد نزلت في شأن الخمسة المذكورين الذين هم آل العباء عليهم السلام قد وصلت عند الإمامية وسائر الشيعة إلى حد التواتر، وقد ذهب إليه من غير فرق الشيعة جمع كثير

➡السابق) وها هو ابن عباس يقول: لم أزل حريصاً على أن أسال عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وآله اللتين قال تعالى فيهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ سورة التحريم: ٤.

حتى حج وحججت معه... حتى قال إبن عباس: فقلتُ للخليفة: من المرأتان؟ فقال عمر ابن الخطاب: واعجباً لك يابن العباس هما عائشة وحفصة (صحيح البخاري: ج٧،ص٢٨ - ٢٩، وج٣، ص١٣٣).

وها هي عائشة وتعقبها للنبي صلى الله عليه وآله بعدما فقدته في ليالي نوبتها، قوله صلى الله عليه وآله لها: «مالك يا عائشة أغرت؟ فقالت: ومالي أن لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال لها صلى الله عليه وآله: أفأخذك شيطانك»؟! (أنظر مسند أحمد: ج٦، ص١١٥، وتفسير الطبري: ج٢٨، ص١٠١، وصحيح البخاري: ج٣، ص١٣٧، وج٤، ص٢٢، وصحيح مسلم كتاب الطلاق: ح٣١ - ٣٤).

أيضاً[١].

وروى أهـل الحديث في كتبهم أحاديـث متعددة صحيحة دالة على أن المراد هو الخمسة المذكورون عليهم السلام. ثم ذكر السيد السند قدس سره من جملة ذلك خمس[٢] أحاديث، إثنان منهما وهما المسندان إلى أم سلمة رضي الله عنهـا نص صريح في الباب الأول، **أحدهما**: وهـو الذي نقله من جامع الترمذي[٣] وذكر: إن الحاكم حكم بصحته[٤].

وقد إشتمل على أنه لما قال النبي صلى الله عليه وآله في شأن أهل البيت، قال: قالت أم سلمة رضي الله عنها: يا رسول الله ألست من أهل بيتك؟ قال إنك على خير، أو إلى خير.

والحديـث الثـاني: وهو الـذي نقله عن كتـاب المصابيح في بيان شـأن النزول، لأبي العباس أحمد بن الحسـن المفسر الضرير الاسفرايني قد تضمن

(١) راجع تفسير الطبري: ج٢٢، ص٦، ٧، ٨، الأحزاب: ٣٣، وتفسير البغوي المسمى بـ (معالم التنزيل): ج٣، في تفسير آية التطهير، وللمزيد انظر كتابنا أهل البيت عليهم السلام في تفاسير أهل السنة ط قم المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

(٢) انظر الدر المنثور: ج٤، ص١٩٨، ومسند أحمد: ج٦، ص٣٠٦، وسنن البيهقي ج٦، ص ٣٠٠.

(٣) سنن الترمذي: ج٥، ص ٦٢١، باب المناقب، وأسد الغابة: ج٤، ص٢٩.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ج٢، ص٤١٦، كتاب التفسير. وكذلك الذهبي في تلخيص المستدرك: ج٢، ص٤١٦، وافق الحاكم على التصحيح.

إنه عليه السلام لما دخل علياً وفاطمة وسبطيه في العباء قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وأطهار عترتي، وأطياب أرومتي من لحمي ودمي إليك لا إلى النار إذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». وكرر هذا الدعاء ثلاثاً، قالت أم سلمة رضي الله عنها: يا رسول الله وأنا معهم؟

قال: «إنك إلى خير، وأنت من خير أزواجي»[١].

ثم قال السيد قدس سره بعد نقل الأحاديث الخمسة قد تحقق من هذه الأحاديث أن الآية إنما نزلت في شأن الخمسة المذكورين عليهم السلام ولهذا يقال لهم: آل العباء، ولله در من قال من أهل الكمال:

على الله في كل الأمور توكلي　　　وبالخمس أصحاب العباء توسلي

محمد المبعوث حقاً وبنته　　　وسبطيه ثم المقتدى المرتضى علي

إنتهى ما إقتصرنا على ذكره من كلام السيّد قدس سره[٢].

وقد علم من كلامه موافقاً لتصريح غيره أن أقوال المفسرين[٣] دائرة في

(١) راجع مصابيح السنة للبغوي: ج٢، ص٢٧٨، معالم التنزيل، ج٣ في تفسير الآية. وشواهد التنزيل، للحسكاني: ج٢، ص١٣، ح٦٣٧ و٦٤١ و٦٤٤ و٦٤٨ و٦٥٣ و٦٥٦ و٦٦١... ونور الأبصار؛ للشبلنجي: ص١٠٣، وذخائر العقبي، للطبري: ج١، ص٩٥، وسنن الترمذي: ج٥، ص ٣٦، ح٣٩٦٣، والتهذيب لابن حجر: ج٢، ص٢٩٧.

(٢) راجع الصوارم المهرقة في الرد على الصواعق المحرقة، ص ١٣٤- ١٣٥، ط بيروت، مؤسسة البلاغ.

(٣) قد أورد السيوطي في تفسير آية التطهير من كتابه (الدر المنثور) عشرين رواية من ⬅

الثلاثة المذكورة واحتمال أن المراد مجموع الخمسة المذكورين عليهم السلام، والأزواج خـرق لإجماعهـم، والقول به إنما حدث من فخـر الدين الرازي عنـد عدم إهتدائـه إلى التقصي عن إسـتدلال الإمامية عـلى عصمة أئمتهم بالآيـة الكريمة، ولهذا نسـبه صاحب الحاصل(١) في هـذا المقام من مباحث الإجماع إلى التعصب كما سيجيء بيانه.

[دلالة آية التطهير]

ووجـه دلالة الآية عـلى العصمة أنها دلت على إذهـاب الرجس الذي هـو الذنوب الذي يدنس بها عرض المغترف بها كما يتدنس بدنه بالأرجاس وعلى التطهير بملازمة التقوى التي يصير الغرض بها نقياً كما ينقى البدن من الأرجاس بتطهيره مع ما فيها من المؤكدات(٢)، مثل إنّما الدالة على الحصر.

➡طرق مختلفة في أن المراد من أهل البيت هنا إنما هم الخمسة لا غير. وذكر الطبري ابن جرير في تفسيره خمس عشر رواية بأسانيد مختلفة في حصر الآية بهم عليهم السلام.

(١) إن كتاب (الحاصل) للأرموي وأخذ كتابه من (المحصول) لفخر الدين الرازي: راجع معجم المطبوعات العربية: ج١، ص٦١٨.

(٢) قال السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره في كتاب (الكلمة الغراء) ص ٣٠: إن الآية دلت على عصمة الخمسة؛ لأن الرجس فيها عبارة عن الذنوب كما في (الكشاف) وغيره، وقد تصدرت بأداة الحصر وهي (إنما)، فأفادت أن إرادة الله تعالى في أمرهم مقصورة على إذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها وهذا كنه العصمة وحقيقتها.

وقد ذكر محي الدين بن عربي لفظ الرجس في الباب ٢٩ من فتوحاته بكل ما➡

والأخبـار عن إرادة الله تعالى إذهاب الرجـس عنهم وتطهيرهم بأبلغ الوجه ومراد الله واقع لا محالة.

والتأكيـد بذكر التطهـير الذي هو التنزيه عن كل أثـم، وعن كل قبيح كـما ذكره صاحب مجمل اللغـة وصرح به فخر الدين الرازي في تفسـيره(١) وغـيره في غيره(٢) بعد إذهاب الرجـس الذي لا ينفك عنه ثم بالمصدر، ولا معنى للحصر إلّا الحالة التي يفعلها الله سبحانه بمن اعتنى بشأنه بحيث لا يقارب الذنوب والمآثم وهذا جلي وأضح لو صادف أذناً واعية.

وليـس المـراد بالإذهاب إزالـة الرجس الموجـود، بل دفـع ما يقتضي الرجس؛ والدليل على ذلك إن الحسـن والحسـين عليهما السلام كانا وقت نـزول الآية طفلـين لا يتصور فيهما الرجس، فعلم أن المـراد عدم اتصافهم بالرجس.

يشين، وإليك عبارته، قال وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله: قد طهره الله وأهل بيته تطهيراً وأذهب عنهم الرجس وهو بكل ما يشينهم، فإن الرجس هو القذر عند العرب. هكذا حكى القراء...

(١) راجع نهج الإيمان لابن جبر: ص٨٧، عن مجمل اللغة لأحمد بن فارس: ج٣، ص٦٤٥، وعنه ابن البطريق في خصائص الوحي المبين: ص١٠٧. تفسير الفخر الرازي ١٧: ١٦٨.

(٢) انظر لسان العرب، لابن منظور: ج٦، ص٩٤، مادة رجس، فقال: الرجس: القذر، وقيل: الشيء القذر- إلى أن قال -: الرجاسة النجاسة.

ثم ان للقوم هنا إيرادات.

الأول: إن سياق الآية يأبى عن حملها على آل العباء؛ لأنّ ما قبل الآية وما بعدها خطاب مع الأزواج(١).

والجواب عنه: بعد تسليم صدق أهل البيت على الأزواج أنه لا بعد في أن يكون ذلك على طريق الإلتفات إلى النبي وأهل بيته عليهم السلام على

(١) راجع الكلمة الغراء: ص٢٥. وقال سيدنا الأستاذ في نفحات أزهاره: ج٢٠، ص ٨٦: وثانياً: إن الآية المباركة نزلت في واقعة معينة وقضية خاصة، ولا علاقة لها بما قبلها وما بعدها... ولا ينافيه وضعها بين الآيات المتعلقة بنساء النبي، إذ ما أكثر الآيات المدنية بين الآيات المكية وبالعكس، ويشهد بذلك.

١. مجئ الضمير: ﴿عَنكُمُ﴾ و ﴿يُطَهِّرَكُمْ﴾ دون: عنكن ويطهركن.

٢. إتصال الآيات التي بعد آية التطهير بالتي قبلها، بحيث لو رفعت آية التطهير لم يختل الكلام أصلاً... فليست هي عجزاً لآية ولا صدراً لأخرى... كما لا يخفى.

ثم ما ألطف ما جاء في الحديث جواباً لقول أم سلمة: «ألستُ من اهل البيت»؟ قال: «أنت من أزواج رسول الله»!! فإنه يعطي التفصيل مفهوماً ومصداقاً بين العنوانين: عنوان (أهل البيت) وعنوان (الأزواج) أو (نساء النبي).

فتكون الآيات المبدوة - في سورة الأحزاب - بـ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ خاصة بـ(الأزواج) والآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾ خاصة بالعترة الطاهرة. وحديث مروره صلى الله عليه وآل بباب فاطمة وقوله: الصلاة أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾... رواه كثيرون إنتهى كلامه دام ظله.

معنى أن تأديب الأزواج وترغيبهن إلى الصلاح والسداد من توابع إذهاب الرجس والدنس عن أهل البيت عليهم السلام فحاصل نظم الآية على هذا أن الله تعالى رغّب أزواج النبي صلى الله عليه وآله إلى العفة والصلاح بأنه إنما أراد في الأزل أن يجعلكم معصومين[١] يا أهل البيت وللائق أن يكون المنسوب إلى المعصوم عفيفاً صالحاً كما قال: ﴿وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾[٢][٣].

وحاصل النظم على ما فهم أهل السنة وصرح به فخر الدين الرازي: إن الله تعالى إنما أراد بترغيبكن إلى العفة والصلاح نفعكن وإذهاب الرجس عنكن، وهذه الآية تدل على إرادة إذهاب الرجس عنهم في الأزل، بل على إرادة إذهابه عنهم بعد الترغيب والتذكير فلا يدل على العصمة[٤].

وفيه: إن إذهاب الرجس فعله تعالى وإرادة الله تعالى واجب الوقوع مطلقاً عند الجمهور وعند الإمامية في أفعاله تعالى، كما صرح به العلامة الحلي في كتاب النهاية[٥].

وقد صدر عن بعض الأزواج بعد الترغيب أيضاً ما هو رجس واثم

(١) في المخطوطة (معصوماً) ولكن في الصوارم المهرقة: (معصومين).

(٢) سورة النور: ٢٦.

(٣) راجع الصوارم المهرقة: ص١٣٥.

(٤) راجع الصوارم المهرقة: ص١٤٧.

(٥) لعل السيد المصنف يقصد كتاب نهاية الأصول للعلامة ولا يزال مخطوطاً؛ لأن ما ذكره لم نعثر عليه في نهاية الإحكام.

وفاقاً، فلو كان المقصود من الآية إرادة إذهاب الرجس عنهن بعد الترغيب لما صدر عنهن بعده ما ينافي ذلك فلا نظام لبيان النظم على الوجه المذكور. وأيضاً إن ما قبل الآية مختصة بالمذكورين؛ لأن الخطاب لفظ الذكور وما قبل من أن التذكير لا ينفي إرادتهن، حصر له فيهن كما ذكره فخر الدين الرازي في تفسيره[1]، وتبعه القاضي البيضاوي[2]، وصاحب التحصيل.

فمدفوع بما مر من أنه لا قائل بالتركيب. وأيضاً الطهارة في الآية تقتضي العصمة كما بيناه فلا يمكن شمول الآية لهن؛ لعدم عصمتهن بالاتفاق[3].

قال بعض الفضلاء: الحق أنهنَّ لو كنّ معنيات لما خرجت عائشة على

(١) التفسير الكبير: ج٢٥، ص ١٦٨، ط مصر المكتبة التوفيقية.

(٢) تفسير البيضاوي: ج٣، ص٣٨٢، ط بيروت الأعلمي.

(٣) ان عائشة وحفصة كانتا تؤذيين الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله كما يذكر البخاري في صحيحه (ج٣، ص٣٤) وتقدم الكلام عنه، فإذن تنطبق على السيدتين الآيتان الكريمتان، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ سورة الأحزاب: ٥٧. وقوله تعالى: ﴿ ... وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ سورة التوبة: ٦١.

وللوقوف على شناعة أفعال وسيرة عائشة راجع كتاب (أخيراً أشرقت الروح) للكاتبة القديرة المستبصرة لمياء حمادة، حيث كان جمل الفتنة إحدى محطات استراحتها، كما عبرت الكاتبة.

الإسـلام وعصت الإمام، وأي رجس أعظم من ذلك، على أنه ذكر الشـيخ ابـن حجـر المتأخر في الباب العاشر من كتاب الصواعـق المحرقة له ما يدل عـلى أن المراد بأهل البيـت في مثال هذه الآية عترتـه وذريته دون الأزواج، حيث قال: أخرج مسـلم، عن زيد بن أرقم أنه عليه السـلام قال: أذكركم الله في أهـل بيتي. قلنا لزيد: من أهل بيته نسـاءه؟ قـال: لا، أيم الله أن المرأة تكون مـع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها أهل بيته ههنا أهله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده[١].

وهو مذكور في (جامع الأصول) أيضاً[٢].

أقـول: يفهـم من قول زيـد رضي الله عنـه إنّ المرأة تكـون مع الرجل العـصر من الدهر الخ. إن إطلاق أهـل البيت على الأزواج ليس على أصل وضـع اللغة وإنما هو اطلاق مجـازي، ويمكن أن يكون مراده أن الذي يليق أن يـراد به في أمثال هذه الآية من أهل البيت أصله وعصبته الذين لا تزول نسبته عنهم أصلاً دون الأزواج وعلى التقديرين فهو مؤيد لمطلوبنا.

الثاني[٣]: إن أهـل بيت في اللغة مختص بالأزواج ففي العدول إلى غيره مخالفة لوضع اللغة[٤].

---

(١) الصواعق المحرقة: ص٨٥.

(٢) جامع الأصول، لابن الأثير: ج١٠، ص ١٠٠- ١٠١.

(٣) هذا الايراد الثاني على آية التطهير.

(٤) لابد لنا من تحديد معنى (الأهل) لغة واصطلاحاً كما ورد في كتاب الله، وأحاديث ←

➡رسوله صلى الله عليه وآله وقواميس اللغة العربية، وذلك لقطع الطريق على المتلاعبين؛ وإلغاء الحجة على الآخرين، وليكن تحديدنا على نحو الاستعراض السريع.
فالأهل في اللغة: أهل الرجل، عشيرته، وذوو قرباه؛ جمعه: أهلون، وأهلات، وأهل يأهل أهولاً وتأهل وأتهل: أتخذ أهلاً. وأهل الأمر: ولاته، وللبيت سكانه، وللمذهب من يدين به، وللرجل زوجته كأهلته، وللنبي صلى الله عليه وآله أزواجه وبناته، وصهره عليّ عليه السلام أو نساؤه، والرجال الذين هم آله، ولكل نبي أمته، ومكان أهل، له أهل ومأهول، فيه أهل (انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣: ٣٣١).
وذكر في المعجم الوسيط تعرفاً آخر للأهل: الأهل: الأقارب، والعشيرة، والزوجة، وأهل الشيء أصحابه، وأهل الدار ونحوها: سكانها.
وذكر الرازي صاحب مختار الصحاح عنى الأهل فقال: من الإهالة، والأهالة لغة: الودك والمتأهل هو الذي يأخذ الأهالة، والبيت عيال الرجل... والأهل والأقارب، والعشيرة، والزوجة، وأهل الشيء أصحابه، وأهل الدار سكانها. مختار الصحاح: ٢٤.
إذا كلمة «أهل» عندما تطلق فإنها تحتمل عدة معان، فربما تعني الزوجة فقط، أو الأولاد فقط، أو الزوجة والأولاد معاً، أو الأقارب والعشيرة، إلى غير ذلك، ولذا نجد كل واحدة من هذه المعاني قد وردت في القرآن الكريم، حث قال تعالى: ﴿۞فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ سورة القصص: ٢٩.
فأهل موسى عليه السلام في الآية الكريمة هي الزوجة التي خرج بها عائداً من مدين إلى مصر، وليس يصحبه أحد سواها، فلا تنصرف كلمة (أهله) إلى معنى آخر. (انظر ➡

➡تفسير السيد عبد الله شبر: ص٣٧٣، ط٣ دار إحياء التراث).

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة يوسف: ٢٥. والأهل هنا أيضاً تعني الزوجة، وهي زوجة عزيز مصر لا غير.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ سورة العنكبوت: ٣٣. وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ سورة طه: ١٣٢.

فكلمة (الأهل) في الآيتين الشريفتين تعني الأسرة المكونة من الزوجين، والأولاد، ومتعلقي الرجال، على الرغم من استثناء زوجة لوط عليه السلام فنالها العذاب. وأما قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ..﴾ سورة هود: ٤٥- ٤٦.

فكلمة الأهل هنا تعني أسرة الرجال السالكين لدربه، والسائرين على خطه، ولذا خرج إبنه عن الأسرة، ولذا لم يعده أحد من ابنائه؛ لأنه خرج عن خط أبيه عليه السلام وكان النبي نوح عليه السلام يحمل زوجه وأولاده وزوجات أولاده. جامع البيان للطبري ١٢: ٦٧. تفسير ابن أبي حاتم ٦: ٢٠٣٩. أحكام القرآن لابن الجصاص ٣: ٢١٢. تفسير القرطبي ٩: ٤٦.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾ سورة النساء: ٣٥، وقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ سورة يوسف: ٢٦، فكلمة (الأهل) في الآية الأولى تعني أقارب وعشيرة الزوجين. أما في الآية الثانية فتعني أقارب وعشيرة امرأة عزيز مصر. (لاحظ تفسير الآية في كتب التفسير وخاصة تفسير الجلالين، ولاحظ تفسير الميزان: ج١٢، ص١٤٢). ⬅

والجـواب عنه: إنا لا نسـلّم أن أهل البيت في اللغـة مختص بالأزواج، ولو كان كذلك لما سـألت أم سـلمة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وآله عن دخولها فيهم، كما مرّ روايتها عن الترمذي وصاحب المصابيح[1]؟

➡ وأما قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ سورة الأنبياء: ٨٤. فكلمة (أهل) في الآية هنا تشير إلى أبناء النبي أيوب عليه السلام بعد كشف الضر عنه.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ سورة فاطر: ٤٣. وقوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ سورة النساء: ٥٨. وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ سورة الكهف: ٧١. فكلمة (أهل) في هذه الآيات الشريفة تعني أصحاب الشيء أو أصحاب العمل.

والخلاصة: إن كلمة (أهـل) قد وردت في القرآن الكريم (٥٤) مرة (أنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) أما كلمة (بيت) التي وردت في مواطن عديدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، أيضاً حملت عدة معان، منها: المسجد الحرام. ومنها البيت النسبي، ومنها: البيت المادي المعد للسكن، وغير ذلك، لأنها من الألفاظ المشتركة.

أما إذا أضفنا كلمة (البيت) إلى الأهل فقد وردت في القرآن الكريم مرتين كما في قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ سورة هود: ٧٣. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ...﴾ الأحزاب ٣٣. بعد هذا تبين لنا أن مصطلح (أهل البيت) غير مختص بالأزواج في اللغة كما أدعوا.

(١) قد تقدم تخريجه، فراجع. ولكن أيضاً انظر فتح القدير: ج٤، ص٢٧٩، إحقاق الحق: ➡

ولو سلّم فنقول: النقل جابر، بل يجب إرتكابه عند وجود الدليل، والدليل ههنا موجود وهو الأخبار المذكورة[١].

الثالث[٢]: إن ما ذكره من الأحاديث معارض بما روي أن أم سلمة قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: ألست من أهل البيت؟ فقال: بلى إن شاء الله.

والجواب: إنا لا نسلم صحة سنده، ولو سلم نقول: إنها رضي الله عنها في هذه الرواية في معرض التهمة تجر نفع وشرف لنفسها فلا يُسمع قولها وحدها، ولو سُلم نقول: إن كونها من أهل البيت قد عُلق فيها بمشيئة الله[٣] تعالى فلا تكون من أهل البيت جزماً، والمذهب عنهم الرجس من أهل البيت جزماً، مع أنها لو كانت منهم[٤] لما سألته؛ لأنها من أهل اللسان، والترجيح معنا بعد التعارض وهو ظاهر.

الرابع: إن ظاهر الآية يدل على حصر إرادة إذهاب الرجس في

ج٩، ص١٠، والفضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج١ الآية، وسنن البيهقي: ج٢، ص١٤٩.

(١) يعني لو قلنا بذلك فالأدلة النقلية - التي مر تخريجها - أثبتت خلاف السياق، ثم إن السياق يقبل إذا لم يكن هناك دليل خارجي، وهو الروايات والأخبار الآنفة الذكر.

(٢) هذا الإيراد الثالث على آية التطهير الشريفة.

(٣) وهو قوله صلى الله عليه وآله: «بلى إن شاء الله».

(٤) في الأصل: (منهن) والمناسب في المقام ما أثبتناه.

المذكورين وأنه تعالى أراد إذهاب الرجس عن كل أحد فلابد من صرف الكلام عن ظاهره وحينئذ لا يصير حجة فيما قصده الإمامية.

والجواب: إنا لا نسلم أنها لحصر إرادة إذهاب الرجس في المذكورين عليهم السلام وأنه تعالى أراد إذهاب الرجس عن كل أحد.

أما الأول: فلجواز أن يكون المراد حصر الأمر الدائر بين إرادة إذهاب الرجس عنهم وعدم إرادته عن غيرهم في إرادته عنهم.

أي ليس بشيء من الأمر الدائر بين إرادة إذهاب الرجس وعدم إرادته الإرادة، ولا يلزم من انحصار الأمر المردد في إرادته تعالى لإذهاب الرجس عن أهل البيت انحصار إرادته تعالى مطلقاً في إذهاب الرجس عنهم حتى يلزم الحصر الكاذب المهروب عنه، إذ يجوز إرادة إذهاب رجس غيرهم في ضمن غير هذا المردد في إرادة إذهاب الرجس عن الأنبياء والأئمة وعدم إرادة الغير وهذا الذي ذكرناه أولاً كان صرف الكلام عن ظاهره لكنه مما يتوقف عليه استقامة أصل الكلام ومع هذا لا ينافي ما قصده الإمامية في هذا المقام.

والحاصل: إن الإيراد المذكور متوجه على ظاهر الآية مطلقاً ولا خصوصية له بالإمامية المستدلين بها على عصمة أهل البيت عليهم السلام فإرتكاب خلاف الظاهر في توجيهه لازم لكل من آمن بالقرآن من الإمامية وغيرهم من المسلمين.

فإن سنح لأحد توجيه الآية بوجه آخر أولى وأحسن مما ذكرنا ومع هذا يكون منافياً لما قصده الإمامية فنحن في صدد الاستفادة.

وقد يجاب عن هذا الإيراد أيضاً: بأن في الآية إضمار والتقدير (إنما يريد الله بخلق العلوم والألطاف الزائدة على ما هو شرط التكليف لكم أهل البيت إذهاب الرجس عنكم وتطهيركم).

وبأنه يجوز أن تكون كلمة [إنما] ها هنا لغير الحصر مجازاً بهذا، وذهب الآمدي[1] إلى أن لفظ [إنما] لا يفيد إلاّ التأكيد وقال: إنه هو الصحيح عند النحويين ونقله أبو حيان في شرح التسهيل عن البصريين ولم يصحح ابن الحاجب شيئاً منها، فتدبر.

وأما الثاني[2]: فلانا لا نسلم أنه تعالى أراد إذهاب الرجس عن كل أحد، إذ مراد الله تعالى واجب الوقوع في أفعاله اتفاقاً كما مر، ولا شك أن إذهاب الرجس فعله تعالى، فلو كان مراده تعالى إذهاب الرجس عن كل أحد لكان الرجس منفياً عن كل أحد والثاني باطل فالمقدم مثله. نعم إن الله تعالى أراد ذهاب الرجس عن كل أحد لا إذهابه، فمنشأه الغلط عدم التفريق بين إرادة الذهاب وإراد الإذهاب، والله أعلم بالصواب.

وأيضاً فقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ

(١) الإحكام في أُصول الأحكام للآمدي ٣:٩٢..

(٢) هذا الاحتمال الثاني للرد على الإيراد الرابع من الإيرادات على آية التطهير.

(٣) سورة النساء: ٢٦.

ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾[١] لفظ عام في الآيتين فلو لم يكن بين الإرادة المذكورة في آيـة التطهير وبين الإرادة المذكورة[٢] في هاتـين الآيتين وأمثالهما فرق لما كان لتخصيصها لأهل البيت عليهم السـلام معنى؛ لأنه تعالى أراد بها المدح لهم ولا يحصل المدح إلّا بوقوع الفعل كما مر.

الخامس[٣]: إنا لا نسـلم دلالـة الآية عـلى زوال كل رجس؛ لجواز أن يكون (السـلام) في الرجس للعهد الذهني، أو الجنسي دون الاستغراق قد يثبت العصمة.

والجـواب: إن (الـلام) تُحمـل عـلى الاسـتغراق إذا لم يكـن ثـم عهد خارجـي، وأيضاً مقام المـدح والإمتنان على أهل البيـت الذين من جملتهم سيد الأنبياء عليهم السلام بتخصيص الطهارة بهم أول دليل وأعدل شاهد على الاستغراق، فقرينة الاستغراق كنار على علم.

وأمـا إحتـمال إرادة إذهاب جنـس الرجس فلا ينافي الاسـتغراق، بل يسـتلزم اسـتلزاماً ظاهـراً، إذ على تقديـر اختصـاص إرادة: ذهاب جنس الرجـس بهم لو ثبت فرد مـن إرادة إذهاب الرجـس لغيرهم لكان الجنس

---

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) في الأصل هكذا: (... فلو لم يكن بين إرادة المذكور في آية التطهير وبين إرادة المذكور في ...).

(٣) هذا الإيراد الخامس على آية التطهير.

ثابتاً في ضمنه فلا يكون الجنس مختصاً به والمقدر خلافه.

وأيضاً صحة الاستثناء معيار العموم كما حقق في أصول الفقه.

وأيضاً حمله على العموم يستلزم أعمال اللفظ وكثرة الفائدة في كلام الشارع، ولو لم يعم لزم الإجمال إن لم يكن الرجس معيناً أو التحكم إن كان، ونقول بوجه آخر: إن الرجس المعرف (باللام) ليس بمعين حتى يشار إليها ولو أردنا رجساً من الأرجاس لم يكن للإمتنان عليهم خاصة معنى، إذ يشاركهم فيه غيرهم من الأمة.

فبقي أن تكون للإستغراق أو لاماً جنسياً مفيداً لنفي طبيعة الرجس عنهم، فلا يوجد فيهم فرد منه حتى لا يلزم وجد الطبيعة فيهم؛ لأن الطبيعة موجودة في ذلك الفرد بلا ريبة كما مر على أن المفرد المحلى باللام يعم عند بعضهم.

ثم **أقول**: الظاهر أن مناقشة الجمهور في هذا المقام إنما نشأت من حملهم (البيت) في الآية والحديث[1] على البيت المبني من الطين، والخشب المشتمل على الحجر التي كان يسكنها النبي صلى الله عليه وآله مع أهل بيته وأزواجه، إذ لو أريد بالبيت ذلك لاحتمل ما فهموه، لكن الظاهر أن المراد بأهل البيت على طبق قولهم: أهل الله، وأهل القرآن أهل بيت النبوة.

ولا ريب أن ذلك منوط بحصول كمال الأهلية والاستعداد المستعقب

(١) آية التطهير وحديث الكساء.

للتنصيص والتعيين من الله ورسوله على المتصف به كما وقع في الآية والحديث، ولهذا احتاجت أم سلمة إلى السؤال عن أهليتها للدخول فيهم كما مر.

ونظير ذلك أن المتبادر من الإرث في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾[١] هو إرث المال، وقد قيل: المراد به إرث النبوة والعلم فافهم.

هذا ولا يخفى أن الإمامية احتجوا في كتبهم الأصولية بالآية[٢] المذكورة مع الحديث الذي رواه الترمذي[٣]، عن أم سلمة على حجة اجماع العترة الطاهرة، وهم علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام، وكذا احتجوا عليه بقوله عليه السلام:

«إني تارك فيكم الثقلين ما أن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٤].

واعترض فخر الدين الرازي في كتاب المحصول على الأول: بإن المراد بأهل البيت زوجاته بقرينة ما قبل الآية وما بعدها والتذكير في و﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ و ﴿عَنكُمُ﴾ لا يمنع من إرادتهم، بل يمنع من القصر عليهن.

(١) سورة النمل: ١٦.

(٢) أي: آية التطهير.

(٣) صحيح الترمذي: ج٥، ص٣٢٧ - ٣٢٨.

(٤) أمالي الطوسي: ج١، ص ١٦٣، مسند أحمد بن حنبل: ج٣، ص ١٤، وسنن الترمذي: ج٥، ص٦٦٢.

وحديث[١] لف الكســاء معارض بما روي عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت له عليه السلام: ألست من أهل البيت يا رسول الله؟ فقال: بلى إن شــاء الله. واعترض على الثاني[٢]: بأن الحديث من باب الآحاد وهو مروي عند الإمامية. ســلّمنا لكن يدل على أن مجموع الكتاب والعترة حجة لا على أن قولهم وحده حجة[٣].

وقال **صاحب الحاصل** مشيراً إلى اعتراض الرازي على وجهي إحتجاج الإمامية: وهذا تعصب وإلّا فالحجتان جيدتان.

وقال **شــارح التحصيل** أيضاً: إن ما قاله الإمــام ومن تبعه تعصب كما قاله بعــض الفضلاء وإلّا فالحجتــان جيدتان على القواعــد الأصولية التي قررها هو وغيره.

وقال **بعض الشافعية** من شارحي المنهاج في هذا المقام أيضاً: إنه لاشك أن أهــل البيت في مهبــط الوحي والنبي صلى الله عليه وآلــه كان مدة حياته مهتماً بتربيتهم وإرشــادهم غاية الإهتمام فكل ما قالوا به واتفقوا عليه يكون أقرب إلى الحق والصواب وأبعد عن الخطأ والفســاد، وهذا المقدار كاف في إفادة المراد.

(١) هذا اعتراض الرازي عن القول الثاني.

(٢) في المصدر على (الثالث).

(٣) السيد المصنف نقل كلام الرازي بما في مضمونه، راجع المحصول: ج٤، ص١٧٣.

وأقـول في دفع الاعتراض الأول: إن التذكـير في ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ وإن لم يمنـع من إرادتهن لكن الطهارة المأخوذة في ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ يمنع منه لدلالته على العصمة وعصمة الأزواج منفية بالإنفاق.

وأيضـاً أن الآيـة بضم الحديـث المروي عن أم سـلمة تمنع مـن إرادة الأزواج؛ لدلالة الحديث على خروج أم سـلمة وهي من الأزواج ولا قائل بالفصـل فيـدل على خروج الكل على أنـه قد يفهم من قوله عليه السـلام: هؤلاء أهلي دون غيرهم رداً على من اعتقد أن الأزواج أيضاً من أهل البيت فيكون قصراً أفراداً.

وأما ما ذكـره أولاً في اعتراضه الثاني[1] من أن خبر الواحد مردود عنه الإمامية.

مردود بأن هذا افتراء عليهم فإن سـلم فلعلهم تمسكوا بذلك الحديث إلزاماً؛ لأن الخصم سلم صحته وسلم إن الخبر الواحد حجة.

وما ذكره ثانياً مدفوع بأن المتبادر من الحديث التمسك بكل من الكتاب والعترة فيدل على كون العترة مستقلاً بالهداية.

قال **صاحب النقود والردود**: الحديث يدل على إستقلال العترة بالهداية؛ لكون الكتاب مستقلاً فلو لم تكن العترة مستقلاً بها لما جاز الجمع بين العترة والكتاب بقوله عليه السـلام: «بهما»؛ لأنـه كالجمع بين مباح ومحظور؛ لأنه

(١) اعتراضه الثالث كما في المصدر.

جمع بينهما، انتهى.

ثم **أقول** الأولى في الرد أن يقال:

العترة مستقل به بدون انضمام الكتاب دون العكس وإلّا لم يكن لهم مزية؛ لأن من عداهم أيضاً بهذه المشابهة ويؤيد هذا ما ذكره المولى الفاضل المتأله قطب الدين الشيرازي الشافعي(١) في مكاتبته المشهورة حيث قال:

راه بي راهنما بسيتوان بافت وكفتن آنكه جون كتاب الله وسنة رسول الله در ما نست مرشد جه حاجتست بآن ما ند كه مريض كوبد جون كتب هست كه طبيب نوشته را باطبا مراجعت بايد كردكه اين سخن خطاست باري آنكه نه هر كس رافهم كتب طب ميسر است واستنباط زان ميتوندكرد مراجعت باهل استنباط مي بايد كرد كه ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلم الذين يستنبطونه كتاب حقيق صدور أهل علمست كه ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾(٢) نه بطون دفاتر جنانجه أمير المؤمنين عليه السلام فرمود:

---

(١) هو محمود بن مسعود بن مصلح الكازروني الفارسي الشافعي، الفاضل الفهامة الملقب بالعلامة، تلميذ الخواجه نصير الدين الطوسي. توفي بتبريز سنة ٧١٠، ودفن بقرب البيضاوي. الكنى والألقاب ٣: ٧٣.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٩.

«أنا كلام الله الناطق وهذا كلام الله الصامت»[1][2].

انتهى كلامه وبه انتهى توضيح ما أوردناه

والحمد لله ربّ العالمين

وصلى الله على محمد واله

الطاهرين الطيبين.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٣٢٢، والبحار: ج٣٠، ص٥٤٦.

(٢) المعنى: «ان الطريق بدون مرشد محتمل الوجود، وما قيل: إن كتاب الله وسنة الرسول علاج فما حاجتنا إلى المرشد! فهذا يشبه كلام المريض الذي يقول: بما أن كتب الطب موجودة فما حاجتنا للطبيب، وهذا الكلام خطأ؛ لأن كتب الطب ليست متيسرة لكل شخص لكي يستطيع الاستنباط منها، فلابد من مراجعة أهل الاستنباط، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ...﴾ (سورة النساء:٨٣) فالكتاب الحقيقي في صدور أهل العلم ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ...﴾ (سورة العنكبوت: ٤٩) وليس في بطون الدفاتر، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا كلام الله الناطق وهذا كلام الله الصامت».

مصادر التحقيق

١ . إحقاق الحق، للسيد المؤلف، ط قم.

٢ . أسد الغابة، لابن الأثير الجزري.

٣ . الأمالي، للشيخ الطوسي، ط إيران.

٤ . أمل الآمل، للحر العاملي، ط إيران.

٥ . أهل البيت في تفسير أهل السنة، نزار الحسن، ط قم.

٦ . تفسير الطبري، ط بيروت.

٧ . التفسير الكبير، للرازي، ط بيروت.

٨ . جامع الأصول، لابن الأثير، ط بيروت.

٩ . الدر المنثور، للسيوطي، ط مصر.

١٠ . ذخائر العقبي، للطبري، ط إيران ذوي القربى.

١١ . سنن الترمذي، ط بيروت.

١٢ . شواهد التنزيل، للحسكاني، ط بيروت.

١٣ . صحيح البخاري، ط بيروت.

١٤ . صحيح مسلم، ط بيروت.

١٥ . الصوارم المهرقة، للسيد المؤلف، ط بيروت مؤسسة البلاغ.

١٦ . عيون أخبار الرضا، للشيخ الصدوق، ط قم.

١٧ . فضائل الخمسة من الصحاح الستة، للفيروز آبادي، ط قم.

١٨ . الكلمة الغراء، للسيد عبد الحسين شرف الدين، ط قم.

١٩ . لسان العرب، لابن منظور، ط بيروت.

٢٠ . مسند أحمد بن حنبل، ط بيروت.

٢١ . مصابيح السنة، للبغوي، ط بيروت.

٢٢ . المعارف، لابن قتيبة، ط قم الشريف الرضي.

٢٣ . ميزان الاعتدال، للذهبي، ط بيروت.

٢٤ . الميزان في تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائي، ط بيروت.

٢٥ . نفحات الأزهار، للسيد علي الميلاني، ط قم.

٢٦ . نور الأبصار، للشبلنجي، ط بيروت.

فهرس المحتويات